ام خالد

قرية أم خالد المهجّرة

أم خالد قرية فلسطينية مهجّرة من قرى قضاء طولكرم، كانت تقع على مسافة نحو 15 كيلومتراً إلى الغرب من مدينة طولكرم، وأقل من كيلومترين إلى الشرق من شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

أُقيمت القرية فوق تل من الحجر الرملي يرتفع نحو 25 متراً عن سطح البحر، وتميزت أراضيها بخصوبة التربة ووفرة المياه الجوفية. وأصبح موقعها اليوم جزءاً من مدينة نتانيا الإسرائيلية، التي امتدت أحياؤها فوق معظم أراضي القرية.

البيان	المعلومة
القضاء	طولكرم
المسافة من طولكرم	نحو 15 كم غرب المدينة
متوسط الارتفاع	نحو 25 مترًا

البيان	المعلومة
السكان سنة 1931	586 نسمة – يشمل الرقم عرب البلاونة
عدد المنازل سنة 1931	131 منزلًا مأهولًا – يشمل عرب البلاونة
السكان سنة 1944/1945	970 نسمة
تقدير السكان سنة 1948	نحو 1,125 نسمة – تقدير ديموغرافي لاحق وليس تعدادًا رسميًا
إجمالي الأراضي سنة 1945	2,894 دونمًا
الهجوم والتهجير	20 آذار/مارس 1948؛ أُخليت القرية بالكامل في مناخ من الخوف من الأعمال العسكرية والهجمات في المنطقة، ولا يثبت المصدر الأساسي وقوع هجوم بري مباشر محدد على أم خالد في ذلك اليوم
السيطرة الإسرائيلية النهائية	20 آذار/مارس 1948؛ يسجل تقرير الاستخبارات العسكرية الذي تنقله PalQuest أن القرية كانت قد أُخليت وأن القوات الصهيونية سيطرت عليها في التاريخ نفسه
العملية العسكرية	«التنظيف الساحلي» / Coastal Clearing بحسب تصنيف فلسطين في الذاكرة؛ ولا يسمي مدخل PalQuest عملية عسكرية محددة مرتبطة مباشرة بإخلاء أم خالد
الوحدة العسكرية المنفذة	لا يحدد المصدر الأساسي لواءً أو كتيبة بعينها؛ تنسب فلسطين في الذاكرة السيطرة إلى قوات الهاغاناه بصورة عامة
سبب النزوح	الخوف من الهجوم والأعمال العسكرية ومن الوقوع في القتال، في ظل تصاعد الهجمات على القرى الفلسطينية في المنطقة الساحلية
المستعمرات الموثقة على الأراضي	نتانيا – أُنشئت سنة 1929 وتوسعت لاحقًا على معظم أراضي أم خالد؛ غان حيفر – 1940؛ نيرا – 1941؛ وقد اندمجت غان حيفر ونيرا سنة 1953 لتشكلا شاعر حيفر التي تغطي جزءًا من أراضي القرية

الموقع والجغرافيا

نشأت أم خالد فوق بقعة مرتفعة نسبياً من السهل الساحلي الفلسطيني، ما وفر لسكانها حماية أفضل من أخطار الفيضانات، ومنح القرية موقعاً مناسباً للإشراف على الأراضي الزراعية المحيطة.

مر طريق طولكرم–نتانيا إلى الجنوب من القرية، بينما مر طريق حيفا–يافا إلى الشرق منها. وكانت الطريقان تتقاطعان في منتصف المسافة تقريباً بين القرية وطولكرم.

حدّ أراضي القرية من الشمال وادي الحوارث وكفار حاييم، ومن الشرق أراضي خربة بيت ليد وبيت يتسحاق، بينما امتدت نتانيا على أراضيها من الجنوب والغرب.

تاريخ القرية

تشير الأدوات الصوانية المكتشفة في محيط أم خالد إلى احتمال أن المنطقة كانت مأهولة منذ عصور ما قبل التاريخ. كما اشتمل موقع القرية على بقايا قلعة صليبية عُرفت باسم «قلعة روجر اللومباردي».

دمّرت قوات نابليون بونابرت القرية سنة 1799 خلال انسحابها نحو مصر، بعد فشلها في احتلال مدينة عكا.

خلال القرن التاسع عشر، شكّلت أم خالد محطة استراحة على الطريق بين الطنطورة ورأس العين، وكان المسؤولون العثمانيون يتوقفون فيها لاستقبال الوجهاء والشخصيات.

وفي سنة 1856 وصف الرحالة ماري روجرز أم خالد بأنها قرية مزدهرة، وأشار إلى انتشار حقول البطيخ الواسعة إلى الغرب منها.

البنية العمرانية

اتخذ مخطط أم خالد شكلاً مستطيلاً ممتداً من الشمال إلى الجنوب. وكانت منازلها مبنية من الحجارة والطين، ومتقاربة بعضها من بعض، تفصل بينها أزقة ضيقة.

ضم مركز القرية مسجداً ومدرسة ابتدائية للبنين وأربعة متاجر لبيع المواد التموينية والأقمشة. وبلغت مساحة المنطقة المبنية سنة 1944/1945 نحو 23 دونماً.

السكان

كان معظم سكان أم خالد من المسلمين، وجاء عدد منهم من قرى قضاء طولكرم الأخرى بحثاً عن العمل، ولا سيما في الزراعة.

بلغ عدد سكان القرية 307 نسمات في تعداد سنة 1922، ثم ارتفع إلى 586 نسمة في تعداد سنة 1931. ويشمل رقم سنة 1931 سكان عرب البلوينة، الذين أُدرجوا مع القرية في التعداد.

وفي سنة 1944/1945 بلغ عدد السكان 970 نسمة. أما رقم سنة 1948، والبالغ نحو 1,125 نسمة، فهو تقدير لاحق مبني على معدل النمو السكاني، وليس نتيجة تعداد رسمي جديد.

التعداد السكاني في قرية أم خالد

السنة	عدد السكان	ملاحظات
1922	307	تعداد رسمي
1931	586	يشمل عرب البلوينة
1944/1945	970	إحصاء رسمي
1948	نحو 1,125	تقدير عشية تهجير القرية
اللاجئون سنة 1998	نحو 6,910	تقدير لعدد اللاجئين المتحدرين من القرية

عدد المنازل في قرية أم خالد

السنة	عدد المنازل	ملاحظات
1931	131	يشمل منازل عرب البلوينة

الحياة الاقتصادية

شكّلت الزراعة عماد اقتصاد أم خالد، وساعدتها خصوبة التربة ووفرة المياه الجوفية على تنويع محاصيلها. واشتهرت القرية بزراعة البطيخ والحمضيات والخضروات والحبوب.

في موسم 1944/1945، خُصص 47 دونماً من الأراضي العربية لزراعة الحمضيات والموز، بينما بلغت مساحة الأراضي العربية المزروعة بالحبوب 1,830 دونماً.

كما اهتم سكان القرية بتربية المواشي وإنتاج الحليب والألبان والأجبان، إلى جانب عمل بعض الوافدين من القرى المجاورة في الحقول والبساتين.

ملكية الأراضي سنة 1944/1945

بلغت المساحة الإجمالية لأراضي أم خالد 2,894 دونماً، وتوزعت ملكيتها على النحو الآتي:

ملكية أراضي قرية أم خالد

جهة الملكية	المساحة بالدونم	النسبة التقريبية
العرب الفلسطينيون	1,923	66.4%
اليهود	882	30.5%
أراضٍ عامة	89	3.1%
المجموع	2,894	100%

استخدام الأراضي سنة 1944/1945

استخدام أراضي قرية أم خالد بالدونم

نوع الاستخدام	العرب	اليهود	أراضٍ عامة	المجموع
الحمضيات والموز	47	0	0	47
الحبوب	1,830	882	0	2,712
مجموع الأراضي الصالحة للزراعة	1,877	882	0	2,759
الأراضي غير الصالحة للزراعة	23	0	89	112
المنطقة المبنية	23	0	0	23
المجموع	1,923	882	89	2,894

شكّلت الأراضي المزروعة أو الصالحة للزراعة نحو 95% من المساحة الإجمالية للقرية، وهو ما يعكس خصوبة أراضي أم خالد وأهمية الزراعة في اقتصادها.

الآثار

عُثر في محيط أم خالد على أدوات صوانية تشير إلى وجود بشري قديم في المنطقة، إضافة إلى بقايا أبراج وحصون وآبار وصهاريج وخزانات مياه وقطع فخارية.

كما احتوى موقع القرية على بقايا قلعة روجر اللومباردي التي ترجع إلى العهد الصليبي، ما يدل على الأهمية التاريخية والاستراتيجية للموقع.

إخلاء أم خالد وتهجير سكانها

وفق تقرير للاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، أُخليت أم خالد من سكانها في 20 آذار/مارس 1948 نتيجة حالة عامة من الخوف، مع تزايد الهجمات العسكرية على القرى العربية الواقعة شمال تل أبيب خلال الأسابيع الأولى من الحرب.

ويذكر المؤرخ الإسرائيلي بني موريس أن عدداً من القرى العربية في هذه المنطقة واجه المصير نفسه. وكانت المنطقة الساحلية تضم تجمعاً كبيراً من المستعمرات اليهودية، كما اعتبرتها القيادة الصهيونية جزءاً مركزياً من الدولة التي كانت تسعى إلى إقامتها.

وبحسب التقرير الذي يستشهد به موريس، رأت القيادة الصهيونية أنه من المرغوب فيه دفع السكان العرب في هذه

المنطقة إلى الرحيل قبل انتهاء الانتداب البريطاني في 15 أيار/مايو 1948.

لا تقدم المصادر الأساسية المتاحة وصفاً لمعركة عسكرية كبيرة داخل أم خالد، ولذلك يُعد تاريخ 20 آذار/مارس 1948 التاريخ الأوثق لإخلاء القرية، بدلاً من تاريخ 1 نيسان/أبريل الوارد في بعض السجلات الثانوية.

تسلسل الاحتلال والتهجير

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
تصاعد الضغط العسكري في المنطقة الساحلية	الأسابيع السابقة لـ20 آذار/مارس 1948	شهدت القرى الفلسطينية الواقعة في المنطقة الساحلية شمال تل أبيب تصاعدًا في الهجمات والأعمال العسكرية، ما أدى إلى انتشار الخوف بين السكان في عدد من القرى.
إخلاء أم خالد	20 آذار/مارس 1948	يسجل تقرير الاستخبارات العسكرية الذي تنقله المصادر أن جميع سكان أم خالد غادروا القرية؛ وربط التقرير ذلك بموقعها وسط تجمعات يهودية وبالخوف منها ومن الأعمال العسكرية المعادية.
اتجاه السكان النازحين	20 آذار/مارس 1948	يشير تقرير الاستخبارات إلى أن السكان اتجهوا إلى طولكرم بعد إخلاء القرية.
السيطرة العسكرية على القرية	20 آذار/مارس 1948	يسجل التقرير نفسه أن أم خالد أصبحت في ذلك اليوم تحت سيطرة القوات الصهيونية بعد إخلائها من سكانها.
العملية أو الإطار العسكري	آذار/مارس 1948	تصنف فلسطين في الذاكرة تهجير أم خالد ضمن «التنظيف الساحلي» (Coastal Clearing)، لكن مدخل وليد الخالدي/PalQuest لا يورد اسم عملية عسكرية مستقلة بوصفها عملية محددة لاحتلال أم خالد.
الوحدة المنفذة	20 آذار/مارس 1948	لا تحدد المصادر الأساسية المتاحة لواءً أو كتيبة بعينها؛ وترد الإشارة إلى الهاغاناه بصورة عامة في فلسطين في الذاكرة، بينما يكتفي تقرير الاستخبارات بعبارة أن القرية احتلتها «قواتنا».
السيطرة النهائية	من 20 آذار/مارس 1948	لا توثق المصادر المعتمدة استعادة فلسطينية للقرية بعد ذلك؛ وأصبح موقعها لاحقًا جزءًا من التوسع العمراني لمدينة نتانيا.

المستوطنات المقامة على أراضي القرية

كانت مدينة نتانيا قد أُنشئت سنة 1929 على أراضٍ مجاورة وعلى أجزاء انتقلت ملكيتها لليهود قبل النكبة. وبعد تهجير أم خالد، توسعت ضواحي نتانيا فوق معظم أراضي القرية وابتلعت موقعها العمراني.

كما أُنشئت مستعمرة «غان حيفر» سنة 1940 ومستعمرة «نيرا» سنة 1941. وفي سنة 1953 دُمجتا لتشكلا مستعمرة أكبر حملت اسم «شاعر حيفر»، التي تغطي جزءاً من أراضي أم خالد.

أم خالد اليوم

أصبح موقع أم خالد جزءاً من مدينة نتانيا. وما زال عدد من منازل القرية قائماً، ويُستخدم بعضها للسكن، بينما تُستخدم منازل أخرى لأغراض تجارية أو مستودعات تابعة لشركات إسرائيلية.

غُرست الأراضي المحيطة بالموقع بأشجار الحمضيات، في حين اختفت معظم معالم القرية الأصلية تحت التوسع العمراني لمدينة نتانيا.

المصادر والمراجع

- الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية: أم خالد
- فلسطين في الذاكرة: أم خالد
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية
- وليد الخالدي، *كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها* .
- عارف العارف، *النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود*.